التوسل

سؤال: ما حقيقة التوسل؟ وما المشروع منه والمحظور شرعًا؟

الجواب: التوسل لغة أن تتخذ شخصًا أو شيئًا وسيلة أو واسطة للوصول إلى الهدف المطلوب، كاستخدام السلم للوصول إلى السطح، واستقلال وسائط متنوعة للوصول إلى مكان ما، فالتوسل هو اتخاذ هذه الوسائل والوسائط لتحقيق غايتنا؛ والمقصود به هنا التوسل المعنوي.

ومن المسائل المختلف فيها قديمًا وحديثًا التوسل بالأنبياء والأولياء والعلماء على اختلاف مراتبهم وبعباد الله الصالحين؛ ثم جاءت مدرسة ابن تيمية فأعطت لهذا الجدل أبعادًا جديدة؛ ويرى بعضهم إدراج التوسُّل في مسألة الشفاعة، فيتناولهما في باب واحد.

ومن التوسل ما هو محظور وما هو مشروع، فلنشرع ببيان أولهما ثم نتبعه بالآخر:

لا واسطة في الإسلام بين العبد وربه؛ فللعبد أن يتوجه إلى ربه متى ما شاء وحيثما شاء، وأن يناجيه بلسان العبودية بلا واسطة.

قلت "متى ما شاء" لأن التقرب بالنوافل لا يتقيد بوقت؛ فللعبد أن يناجي ربه ويدعوه بالعبادات التي هي أروع أشكال الدعاء والمناجاة، فيقف بين يديه متى شاء، أما أوقات الكراهة فليست من موضوعنا، فإنما نتحدث هنا عن العبودية مطلقًا.

وقلت "حيثما شاء" لأن رسول الله ﷺ يقول: "**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**"(٤٣).

وبالنوافل يتقرب العبد من ربه شيئًا فشيئًا، فيبلغ مقامًا قال عنه النبي ﷺ: "**إن الله قال: "وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**"(٤٤).

إذًا يمكن إقامة مثل هذه الصلة بين العبد وربه ﷻ، فلِمَ الواسطة؟ فالله تعالى أقرب إلى عبده من حبل الوريد، يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٨٦/٢)، إن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وربوبيته، فعلى العبد أن لا يشرك معه أحدًا في عبوديته.

أليس هذا هو ما نكرره في قراءتنا لسورة الفاتحة في صلواتنا كلّها: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ (سورةُ الفَاتِحَةِ: ١/٥-٦)؛ ألا يفيد هذا أننا نتوجه إلى ربنا تبارك وتعالى بلا واسطة ولا وسيلة بيننا وبينه؟

وفي سورة "الكافرون" حقائق تبين أن عبودية العبد لربه تتحقق مباشرة بلا واسطة، وأنها مرتبة في التوحيد.

ويبين النبي ﷺ في دعائه حقيقة التوحيد بقوله: "**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**"(٤٥).

(٤٣) صحيح البخاري، التيمم، ١؛ صحيح مسلم، المساجد، ٣.

(٤٤) صحيح البخاري، الرقاق، ٣٨.

(٤٥) صحيح البخاري، الأذان، ١٥٥؛ صحيح مسلم، المساجد، ١٣٧ (إلا "وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ" فإنها وردت في المعجم الكبير للطبراني ١٣٣/٢٢؛ وشعب الإيمان للبيهقي ٤٩/٧).

ولن نستطرد في شرحه، وفيه أنَّ الإنسانَ لا ينفع غيره بل لا ينفع نفسه إلا بإذن الله ومشيئته؛ فالرسول ﷺ يكشف لنا سبل بلوغ العبودية الحقّة الخالصة، وذلك بالتبرؤ من أية وسيلة أو واسطة.

عن ابن عباس قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ:

"**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**"(٤٦).

دلت هذه الآيات والأحاديث وأمثالها أن العبد عندما يرفع يديه إلى السماء بالدعاء ليس بحاجة إلى وساطة أحد، فإذا ما تعرَّضَ لشدٍّ معنويّ في هذا السبيل فقد واتَتْه الفرصةُ ليغترف من رحمة الله كفاحًا، وليبوح بين يدي ربّه برغباته ويطلب منه حاجاته، ويجدد صلته به في إطار العلاقة بين العابد والمعبود؛ وبهذا المعنى لا مجال للوسيلة والتوسل.

هذا وما ذكرناه هو الوجه الظاهر من الحقيقة، لكن لها وجه باطن يأبى بعض الناس أن يعترفوا به، يستمسكون بما ذكرناه حتى هنا، ويصمّون آذانهم عما سيأتي.

أسألكم بالله هل هناك مَن ينكر أنّ القرآن نفسه وسيلة؟! فلو لم ينزل فمن أين كنا سنستشرف الأمل في الحياة الآخرة الأبدية، وننظم شؤون حياتنا الدنيوية، ونرى خريطة الجنة؟ وبأي شيء كنا سنروي قلوبنا الظمأى وكيف كنا سنتوصل إلى ذلك؟

(٤٦) سنن الترمذي، صفة القيامة، ٥٩.

أسألكم بالله: هل هناك مَن ينكر أن النبي ﷺ واسطة، وهو من عرج إلى السموات العلى يوم الإسراء والمعراج وعاد وهو يقول: يا ربِّ أمتي أمتي؟! هل تُنكَر وساطة نبي عظيم وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ: ٢١/١٠٧)، وهو رحمة للكافرين أيضًا، إذ حوّل كفرهم المطلق القطعي إلى شك وريبة، فنجّاهم من العذاب النفسي في الدنيا، ذلك العذاب الذي ينشأ عن الاعتقاد بالفناء المطلق والعدم بعد الموت، فصاروا يرون البعث بعد الموت أمرًا محتملًا.

فلو لم يُعلِّمْنَا دينَنَا فممن كنا سنتعلمه؟ لقد تعلمنا منه مكارم الأخلاق، فهو من أزال الرَّين عن عين الإنسانية، وهو من بلّغنا الآفاق النورانية؛ وقد أحس الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الشعور في أعماق قلوبهم، فقالوا: "اَلْمِنَّةُ لله وَلِرَسُولِهِ" فرأوا كل شيء خاصّ به مباركًا ووسيلة للنجاة، فكل شعرة مباركة تسَّاقط من رأسه أو لحيته ﷺ كأنها نزلت من الجنة، فتُلفّ بأليَن القماش وتُحفظ في زجاجة بأعز مكان في بيوتهم؛ وكل قطرة من وَضوئه تساقط من أعضائه ﷺ يتدافعون عليها ولا يفرطون بها، ثم يمسحون بها وجوههم وعيونهم، كأنهم يعتقدون أن النار لن تمس عضوًا مسَّه ذلك الماء المبارك؛ هذه عقيدتهم ولم يكن الرسول ﷺ يمنعهم عن ذلك؛ فلو كان فعلهم هذا شِركًا كما يُقال، لمنعهم ﷺ من فعل ذلك، فهو إنما جاء ليمحو الشِّرك عن ظهر البسيطة.

وأنوّه بهذه الواقعة: كان القائد العظيم خالد بن الوليد ﷺ يحمل في عمامته شعرةً من شعر سيدنا رسول الله ﷺ، ففقدها ذات يوم في معركة، فراح يبحث عنها لا يخشى شيئًا حتى اقتحم صفوف الأعداء دون أن يعبأ بتحذير أصحابه له، فعثر عليها ولبسها، ولما سأله أصحابه لم ألقى بنفسه في التهلكة، فقال: حلق رسول الله ﷺ رأسه في حجة

الوداع، فأخذت من شعره شعرات، فجعلتها في مقدمة قلنسوتي فلم أَلْقَ جمعًا قط إلا انهزموا ببركة رسول الله ﷺ(٤٧).

قائل هذا رجل له من العظمة ما يجعل أعظم قادة العالم خَدَمًا له.

وعمرو بن العاص ﷺ الرجل العظيم فاتح إفريقيا من أقصاها إلى أقصاها، الداهية السياسي المحنَّك، ذو الموهبة الإدارية الفريدة التي تشبه دهاءه، لما حضرته الوفاة وضع شعرة مباركة من لحية رسول الله ﷺ تحت لسانه لعلها تيسر عليه الحساب.

وأكرر فأقول: ومَن أجلّ من الصحابة على ظهر الأرض في فهم التوحيد؟ فلو كان هذا الفعل ونحوه شركًا لكانوا أول من يتجنبه، فهم النخبة المختارة التي شبهها الرسول ﷺ بالنجوم في السماء، وقدرها وبجّلها بقوله: "**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنَا أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**"(٤٨)؛ لكن كما رأيتم لم ير هؤلاء مانعًا ألبتة من التوسل بهذه الصورة.

وأصاب الناسَ قحط في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فرأى عمرُ نفسَه سببَ هذا البلاء، فأثقل هذا الأمر كاهله، واكفهر وجهه، وبينما هو عائد إلى بيته وهو على تلك الحال، توقف فجأة، وعاد مسرعًا يحث خطاه إلى بيت عم النبي ﷺ سيدنا العباس ﷺ، فاستأذن، ففتح له العباس، فبادر عمر وأخذ بيده، إلى إحدى الهضاب، فدعا الله وهو يرفع يد العباس ﷺ إلى السماء: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" فَسُقُوا(٤٩).

(٤٧) الواقدي: فتوح الشام، ١/٢١٠.

(٤٨) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، ٢٠٧.

(٤٩) صحيح البخاري، الاستسقاء، ٣.

وعن مالك الدَّارِ قال: أصاب الناسَ قحطٌ في زمان عمر بن الخطاب ﷺ، فجاء رجلٌ إلى قبر النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله! استسقِ الله لأمتك فإنهم قد هلكوا"، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: "ائْتِ عمرَ، فأَقْرِئْه السلامَ، وأخبِرْه أنكم مُسْقَون، وقل له: عليك الكَيْس الكَيْس!"، فأتى الرجلُ عمرَ فأخبره، فبكى عمرُ ثم قال: "يا ربّ ما آلُو إلا ما عجزتُ عنه"(٥٠).

وعن عثمان بن حنيف: أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع اللَّهَ لي أن يعافيني، فقال: "**إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ لَكَ وَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ**" فَقَالَ: ادْعُهْ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**"(٥١).

وما زال هذا الدعاء وردًا يردده المسلمون كلما نزلت بهم مصيبة أو مرض، يصلون ركعتين ويدعون به، فيُرفع عنهم، ذلك بفضل الله وعنايته.

والخلاصة أن التوسل مشروع وواقع بشرط ألا يُنسى أبدًا أن المتوسَّل به ليس هو المقصد والغاية، وأنه ليس له من الأمر شيء سوى كونه وسيلة، وأن الأمر كله يرجع إلى مشيئة الله وإرادته، والأمثلة المتقدمة تبين أنه لا صلة للتوسل بالشرك ألبتة، إلا أنه كما يمكن إساءة توظيف أي مبدأ صافٍ قد يسيء أناسٌ العملَ به، فالتوسل من حيثُ هو لا يُضيره ما فعل المخطئون المسيئون؛ هذا هو مفهوم التوسل عندنا؛ وعلى ذلك يشاركنا عباد الله الصالحون في دعائنا، فالدعاء جماعةً أرجى للقبول.

---

(٥٠) مصنف ابن أبي شيبة، ٣٥٦/٦؛ البيهقي: دلائل النبوة، ٤٧/٧.

(٥١) سنن ابن ماجه، إقامة الصلوات، ١٨٩.

الشفاعة

سؤال: هل الشفاعة حق؟ ومن له أن يَشفع؟ وإلى أي مدًى؟

الجـواب: أجل، الشـفاعة حـق، أثبتتها الآيـات والأحاديث سـنتناولها في موضعها؛ سنتناول أولًا الشق الثاني من السؤال: من له أن يَشفـع وإلى أي مدًى؟ الإجابة هنا تعد جوابًا عن السؤال الأول كذلك.

الشـفاعة للأنبياء والأولياء والشـهداء، كل حسـب مقامـه الذي أقامه الله تعالى فيه، وأعلاها لرسـول الله ﷺ صاحب الفطنة العظمى، فقد كانت لكل نبي دعوة مسـتجابة أي شـفاعة شفـع بها في الدنيا، أما رسول الله ﷺ فادّخرها للآخرة، فهو في الآخرة صاحب الشـفاعة العظمى؛ إذ سـتجتمـع أمته "الحمّادون" تحت "لواء الحمد"، فيشفـع صاحب "المقام المحمود"، وينال كل فرد من هذه الأمة المحمدية ما يستحقه منها، فينجو ويفوز.

الدنيا فانية لا خلود فيها، وما فيها من مشكلات ومشاقّ ستكون كفارة للذنوب، لكن سيأتي على الناس يوم رهيب بئيس لا ينقذهم وينجيهم فيه العمل، فيقوم رسـول الله ﷺ صاحب الشـفاعة العظمى ليشـفـع للإنسـانية جمعاء؛ ولهذه الشـفاعة حدود بلا ريب، فالشـفاعة تأتي بحسب مشيئة الله تعالى وبإذنه فقط: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ (سُورَةُ البَقَرَة: ٢/٢٥٥).

وهذا مسـلَّم به؛ فالشـفعاء قد يتصرفون عاطفيًّا فيفرطون، وقد يدّعون لأنفسهم رحمة تفوق رحمة الله، وهذا ينافي الأدب الواجب مع الله تعالى؛

فأقام الله ﷻ ميزانًا ومقياسًا يبين من يشفع، ولمن؟ وإلى أي مدى؟؛ وكما أن أفعال الله تعالى وتصرفاته كلها عدلٌ وحكمة، فكذلك شفاعة الشافعين في الآخرة فيها عدلٌ وحكمة.

ولولا هذه الحدود لتجاوز بعضهم بالشفاعة مقتضَى الحكمة؛ ولأدّى هذا إلى إثارة عواطف الرحمة والشفقة عند بعض الشافعين عندما يرى الناس يحترقون في جهنم، فيشفع في الكفار والمنافقين والمجرمين جميعًا ليدخلوا الجنة؛ لكن في مثل هذه الشفاعة اعتداءً على حقوق مليارات المؤمنين.

لو تركت الشفاعة للعواطف لاحتمل أن يستفيد منها الكافر الذي يحمل أعظم الذنوب وانتهك حقوق الخلق، إذ ارتكب جريمة كبرى بسعة الكون عندما أَنكر كلّ نظام وحكمة وجمال لله تعالى واستخَف وحَرّف، فالرحمة بهذه الروح السوداء المظلمة التي تلطخت كل لحظة من حياتها بمئات الجرائم سوءُ أدب مع الله باسم المرحمة.

أخبرنا الرسول أنه ادّخر شفاعته لأصحاب الكبائر من أمّته، يقول ﷺ: "**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**"(٥٢).

فهو هنا -كما في كل شيء- إنسانُ توازنٍ، فالأمة جميعها وجدت سلوانها في هذا الحديث، وتأْمَل أن تنال شفاعته.

عندما كان "منصور الحَلّاج" يشرح هذا الحديث أخذته الجذبة فخرج عن طوره وقال ما معناه مخاطبًا سيد السادات ﷺ: "يا سلطان الأنبياء، لم وضعت هذه القيود، لماذا لم تطلب الشفاعة للناس جميعًا؟ فلو أنك دعوت ربك بذلك لاستجاب لك"؛ فتمثل له حينئذ رسول الله ﷺ، ولفّ

(٥٢) سنن أبي داود، السنة، ٢٠؛ سنن الترمذي، صفة القيامة، ١١.

عمامته على عنق الحلاج، وقال له: "كفِّر عن ذنبك بحياتك، أتحسب أنني قلت هذا الكلام من تلقاء نفسي؟"؛ فكان الحلاج يبتسم حتى عند مقتله وبتر أطرافه كما تبتر أطراف الشجرة؛ فهو يعلم أن هذا الحكم صدر في الملأ الأعلى، فلا مناص من التسليم والرضا.

أجل، لو أن الرسول ﷺ -كما قال الحلاج- شفع عند ربه للناس أجمعين فلربما يستجيب له ربه؛ لكن الرسول ﷺ كله أدب مع ربه، فلا يقول إلا ما يقوله ربه ولا يتعدى حدوده أبدًا.

ومن موازين الشفاعة التي وضعها الحق تعالى أن يكون المشفوع له مستحقًّا لهذه الشفاعة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ (سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ: ٤٨/٧٤)؛ فبهذا نعلم أن للشفاعة حدودًا وليست للناس جميعًا، ولا قطع بقبول الشفاعة؛ فالأساس هنا هي المشيئة الإلهية القائمة في كل شأن وأمر، فالكافر يخرجه كفره عن دائرة الشفاعة من البداية؛ فلا يستطيع أحد أن يشفع له، ولا تقبل منه هذه الشفاعة إن قام بها.

ويعلمنا القرآن دعاء فيه وجوب التمسك بعلو الهمة ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ (سُورَةُ الفُرْقَانِ: ٧٤/٢٥)؛ أي هب لنا يا ربنا أزواجًا وذرية صالحة تقر بها أعيننا، هب لنا رفقاء حياة يشدّون من أزرنا ويشوقوننا في سيرنا إليك، وأولادًا وذرية تكون أعمالهم ودعواتهم الصالحة وسيلة لانهمار رحمتك علينا بعد وفاتنا، ولا تقطع بنا يا ربنا عند مرتبة المتقين، بل بلّغْنا مرتبة إمام المتقين؛ اللهم منّ علينا بخدمة الإسلام في وقت يوضع فيه نير الخدمة عن الدين، وتُعد عارًا وخزيًا عند الآخرين، وشرفنا اللهم بإمامة المتقين.

مثل هذا الفهم يعبر عن الهمة العالية، ويرجو صاحبه أن يكون أهلًا للشفاعة بحدودها السابقة، ولو لم يشأ الله تعالى أن يعطينا ما نسأله لما أعطانا أولًا صلاحية السؤال؛ فما دام قد أعطانا هذه الصلاحية وعلّمنا كيف نطلب وكيف نسأل فسيعطينا ما نسأل، نرجو هذا وننتظره من رحمته الواسعة؛ فعلينا فهم هذا الأمر جيدًا؛ أجل، فالاكتفاء بطلب ركن في الجنة دليل على ضعف الهمة، فالله يوجهنا لتكون همتنا عالية، فنطلب منه أن يجعلنا إمامًا للمتقين ليكرمنا بالشفاعة لهم.

حكى لنا رسول الله ﷺ مشهدًا من مشاهد الآخرة فقال: "**يُدْعَى نُوحٌ فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ**"، قَالَ: "**فَيُؤْتَى بِكُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ**"، فَذَلِكَ قَوْلُ الله: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٤٣/٢)"[٥٣].

وفي رواية: "**فَيُقَالُ: "وَمَا عِلْمُكُمْ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا؟" قَالَ: فَيَقُولُونَ: "جَاءَنَا رَسُولُنَا بِكِتَابٍ أَخْبَرَنَا أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ"، قَالَ: فَيُقَالُ: "صَدَقْتُمْ"**"[٥٤].

أجل، فالشفاعة حق وحقيقة؛ وسيشفع العظماء في الحدود التي وضعها الله تعالى؛ فإن قلنا الشهادة نوع من الشفاعة، فأمة محمد بأجمعها ستشفَع بهذا المعنى.

أما من ينكر الشفاعة فقد خسر الدنيا والآخرة، فالله تعالى سيعامل عبيده بحسب معرفتهم وظنّهم به سبحانه.

---

(٥٣) سنن الترمذي، تفسير القرآن، ٢.

(٥٤) البيهقي: شعب الإيمان، ٤٢٢/١.

أهل الفترة

سؤال: نسمع عن عهد "الفترة"، فما معناه؟ وما حكمه؟ وهل نمرّ بمثله اليوم؟

الجواب: عهد "الفترة" هو فترة انقطاع الوحي بين نبيَّيْن، وغالبًا ما يُطلَق على ما بعد عيسى عليه السلام حتى مبعث رسولنا ﷺ. أجل، في هذه الفترة اندرست الأسس التي أتى بها المسيح عليه السلام، فلم تصل باقات النور التي جاء بها عهده بعهد الرسول ﷺ، فغرق الناس في ظلام دامس؛ فهي الفترة التي لم يتصل فيها النور الذي جاء به المسيح عليه السلام بالنور الذي جاء به رسولنا ﷺ، فحدث بينهما فراغ مظلم؛ وهذا الفراغ الزمني هو "عهد الفترة"، والذين عاشوا فيه هم "أهل الفترة".

فهؤلاء لم يبلغهم الشرع الذي أتى به المسيح عليه السلام بمعناه التام وحقيقته الناصعة، ولم ينتفعوا بأنواره وأسراره، ولم تبلغهم دعوة رسولنا ﷺ، ولكن من كان منهم لم يعبد صنمًا، ولم يتخذ إلهًا من دون الله، فالإجماع منعقد على أنهم معفوّ عنهم مغفور لهم ولو لم يعرفوا الله تعالى ولم يتوصلوا للإيمان به؛ فوالد الرسول ﷺ ووالدته وجدّه ستنالهم المغفرة -إن شاء الله تعالى- لكونهم من أهل "الفترة".

عن عائشة رضي الله عنها أخبرت "أن رسول اللهِ ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له وآمنا به ثم أماتهما"[٥٥]. رغم أن الحديث ضعيف عند المحدثين؛ إلا أن المحدث الكبير الإمام السيوطي يرى الأخذ به، ويرى

(٥٥) السهيلي: الروض الأنف، ١٢١/٢.

أن والـدي الرسـول ﷺ آمنـا بـه، فنعما بالنجـاة والمغفرة. نعـم، فقد ورد عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: "فِي النَّارِ"، فلما قفى دعـاه، فقـال: "إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ"(٥٦)؛ لكن هذا قبل إحياء الله تعالى والديه وإيمانهما له ﷺ.

والحقيقة أنه لا حاجة للاستدلال بمثل هذا الحديث ردًّا على السؤال؛ لأنـه لا دليل علـى أن أحدًا من والديه الموقَّرين عَبَـدَ الأصنام؛ فقد عاش فـي ذلك العهـد موحِّدون كثر، لم يعبدوا الأصنـام والأوثان، وكانوا على ديـن إبراهيـم عليه السلام؛ وهـم من أهل الفتـرة أيضًا، وكل مـن كان حاله هكذا مـن أهـل الفترة فهو ناجٍ؛ فإذا كان أهل الفترة ناجين فكيف يصحّ اسـتثناء والدي الرسـول ﷺ؟ والله تعالى لا يترك ولا يضيّع أيّ شيء حتى الذرات والإلكترونات التي تدخل في جسـد الإنسـان يوليها قيمة وأهمية، ويجعل منها بنيانًا خالدًا في الآخرة، فهو منزّه عن أي عبث، فهل يمكن أن نتصور أنه سبحانه سيضيـع والدي الرسول ﷺ ويدخلهما النار وهما أصله وسبب وجوده؟

وأشـرنا سـابقًا أن الله لم يكن ليضيّـع الموحدين في ذلك العهد أمثال زيـد بـن عمرو -عـمّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو ابن عمـه- وورقة بن نوفل؛ فهـؤلاء آمنـوا بالله تعالـى ووحدوه فـي وجدانهم؛ قد لا يعرفـون الله حقّ المعرفة، لكنهم يؤمنون بوجود إلهٍ واحد يتوجهون بدعائهم إليه.

ولقـد صـار الجـو ملائمًا ومناسـبًا قبيل البعثـة حتى إن النبـي ﷺ أثّر فـي محيط هؤلاء تأثير الضغط العالي؛ فكأن هذه الأرواح العالية شـعرت بمشـاعرها وحواسـها وبلطائفها وحدْسِـها بقرب هطـول الرحمة الإلهية؛ فراحـوا يبشـرون من حولهم بهذه البشـارة، ونظن أنّ رسـولنا الذي أوتي

(٥٦) صحيح مسلم، الإيمان، ٣٤٧؛ سنن أبي داود، السنة، ١٧.

الشفاعة العظمى يوم القيامة لن ينسى هؤلاء الأشخاص الذين استقبلوه بإخلاص ليأخذ بأيديهم في ذلك اليوم ويرقى بهم إلى عالمه النوراني السعيد، فيكون سببًا لأمنهم وسعادتهم؛ ومثلهم في النجاة فيما نظن من عاشوا في نور الحنيفية السمحة ومن لم يعبدوا الأصنام رغم ما في عهد الفترة من ظلام.

هذا الجانب من المسألة يتعلق بالماضي، وهناك جانب آخر يتعلق بيومنا الحالي، ويبدو أنه هو المقصود من السؤال.

يتعذّر إطلاق صفة "عهد الفترة" على زماننا وصفة "أهل الفترة" على إنسان اليوم حسب ما تقوله كتب علم الكلام؛ لكن العجلة في القطع بإطلاق مثل هذه الأحكام بلا رويّة كافية مخالفٌ لنظرة أهل السنة والجماعة وعدمُ احترام للرحمة الإلهية الشاملة الواسعة.

لقد أدركنا عهدًا -خاصة في البلدان الأجنبية- غُيِّبت عنه شمس الإسلام مطلقًا، ومُحي من القلوب اسم الله ورسولِه، واستُعمل العِلم أداة كاذبةً لإنكار الخالق ﷻ، وبُعث الكفر بوجهه القبيح في دُورِ العلم والعرفان بدلًا من أن تعلو كلمة الله والمعرفة الإلهية؛ واستُعمل العلم والحكمة منصة لسلاح يدكّ قلعة الإيمان ويجعلها أنقاضًا متراكمة بدلًا من أن يكونا طريقًا للوصول إلى الإيمان.

وهكذا نسي الشباب في ضلال الكفر ودُوامة الضلال طريقَهم إلى الجامع والمسجد كليًا؛ أما الشرذمة التي تحكمت واستولت على المحافل العلمية فأخذت تتغنى بالغرب وأعرضت عن تاريخها ومفاخرها؛ فبعضهم عكَّر بنظرية "التطور" أفكارَ إنسان عصرنا حول الخلق، وبعضهم لوّث أفكار الأمة بالشهوة الجنسية وفقًا لنظريات فرويد وأرجعوا حل المشكلات كلها من منظور الشهوة؛ ومنهم من أفسد الشعب بالمذاهب

الفوضوية، وكانت كل هذه المذاهب تستهدف إفساد أمتنا أفرادًا أحيانًا وجماعات أحيانًا أخرى، بل أفسدت الأمم القريبة منا فكريًّا وسمّتها وأبعدتها عن أصولها وهويتها وانحطت بها.

وقامت الجرائد والمجلات والكتب برفع شعارات هذه المذاهب في طول البلاد وعرضها سنوات عدّة؛ لذا لا يمكن عدّ إنسان يومنا هذا خارج عهد "الفترة" تمامًا، وإلا أغمضنا عيوننا عن الحقائق من حولنا.

أريد هنا نقل حادثة جرت في ذلك العهد تبين مدى الفقر الروحي الذي مُنِي به جيلنا:

في درس ومسامرة مع الشباب كان أحد إخواننا يشرح حقائق الدين العلوية، وما لبث الحديث أن انتقل إلى الحوادث والأخبار اليومية، فتناول ما يحدث في العالم الشيوعي والمظالم التي يقترفونها والخططِ الجهنمية التي يريدون تطبيقها في المستقبل، فأخذت الحماسة مأخذها من أحد الشباب فجعل يقول: "يجب قتل كل الشيوعيين وتمزيقهم إرْبًا إرْبًا"، وسرعان ما أجابه شاب آخر كان في ركن من الغرفة يستمع إليهم بشوق ووجد عميق، ويتنسم عبير هذا الجو المبارك أول مرة في حياته، قال له بنفس الحماس والوجد: "يا صديقي! أي قتل وذبح هذا الذي تتكلم عنه؟ فلو قمتَ بالأمس بتنفيذ ما تقوله الآن لذهبتُ أنا أيضًا ضحية بائسة لأنني كنت واحدًا منهم، وها أنت ترى أنني اليوم من هذه المجموعة المباركة الطاهرة، فبيْن الأمس واليوم قطعتُ مسافة كما بين السماء والأرض، وأقسم أن ممن تطلقون عليهم اسم العدو والجبهة المعارضة آلافًا مثلي ينتظرون الخلاص، فهؤلاء لا ينتظرون منكم الصفعات بل الرحمات، فلو مددتم أيديكم إليهم لأصبحوا مثلكم؛ فما هو واجب الوقت: القتل أم الإحياء؟"؛ فأثّرت هذه الكلمات الصادقة المخلصة فيهم حتى أجهشوا بالبكاء.

أجل، هذا هو الجيل الذي رأيناه وسكبنا العبَرات الدامية على ضلالتهم، وأكثرُهم برآء، إذ ما انحرفوا إلى الضلالة إلا عندما عجزوا عن معرفة الحق، فأعتقد شخصيًّا أن إخراجهم عن حكم أهل الفترة يخالف مقتضى الرحمة الإلهية الواسعة الشاملة.

وإليكم حادثة وردت في الصحيحين: عن عمر بن الخطاب أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي، تبتغي؛ إذا وجدت صبيًّا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: "**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**" قلنا: لا، والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: "**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**"(٥٧).

إذًا نحن مضطرون للتفكير بالتسامح؛ ولا يذهبنّ بأحد الوهم أننا نحاول إظهار رحمة زائفة أكثر من الرحمة الإلهية، لكننا نريد أن ننظر إلى المسألة في ضوء القواعد العامة عند أهل السنة والجماعة، وبعدسة الحديث القدسي: "**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**"(٥٨).

وللمسألة جانب مهم جدًّا يخصّنا: لقد عجزنا أن نعرض الحقائق لشبابنا بصورة مقنعة، وأهملنا شبابنا وشباب العالم أجمع وهم بحاجة إلى الرسالة التي نحملها أكثر من حاجتهم إلى الهواء والماء، وعندما نقارن ما نحن عليه بما كان عليه الصحابة الكرام الذين حملوا مشعل الهداية إلى أنحاء الأرض كافة في مدة قصيرة، وبجهود الذين اتبعوهم بإحسان، يظهر بوضوح مدى كَسلنا وخمودنا وجمودنا؛ كان ديدنُهم البحثَ عن القلوب والأنفس المتعطشة للهدى والنور، وجعلوا حمل هذا النور للناس غاية حياتهم.

(٥٧) صحيح البخاري، الأدب، ١٨؛ صحيح مسلم، التوبة، ٢٢.

(٥٨) صحيح البخاري، التوحيد، ٢٢؛ صحيح مسلم، التوبة، ١٥.

وأورد هنا حادثة وقعت لأحد إخواننا:

سافر أخونا إلى ألمانيا يعبّر عن الحق والحقيقة بلسانه وحاله، فتأثر صاحب البيت المؤجِّر بوضاءة وجهه ونور ناصيته، فانضم إلى تلك الحلقة المباركة، وازدادت معرفته بالإسلام يومًا بعد يوم، وقطع شوطًا كبيرًا في حياته الدينية، وذات يوم وهو يتجاذب مع صديقنا أطراف الحديث لم يتمالك نفسه أن قال:

"الله يعلم أنني أحبك حبًّا جمًّا، فعلى يديك كانت نجاتي، لكنني شديد الغضب والنقمة عليك؛ فلو أتيتَنا قبل بضعة أشهر، لاهتدى والدي على يديك، فحياته كلها غاية في الصفاء والنقاء بميزان القيم الأخلاقية؛ وا أسفاه! هو قد رحل ولم يعرف الوجه الحقيقيّ للإسلام ليهتدي، والسبب أنك وصلت متأخرًا".

في الواقع هذه الصيحة صيحة العالم بأسره، والمخاطب هم المسلمون جميعهم، فهذا هو ما يخصّنا في هذه المسألة؛ فلنسأل أنفسنا: هل قمنا نحن المسلمين بأداء هذه المهمة الملقاة على عاتقنا؟ فإن كنا لم نؤدها فما أكثر ما سنحاسَب عليه إذًا.

الأعراف

سؤال: أين الأعراف؟ ومن أصحابها؟

الجواب: الأعراف لغةً جمع عُرف، وهو كلّ عالٍ مرتفع، وعند المفسرين سور بين الجنة والنار، وسميت سورة الأعراف في القرآن الكريم بهذا الاسم لما فيها من حديث عن الأعراف وأصحابها.

وأصل الأعراف ما بين هذا المكان وذاك من منزل أو سور، ويُستنبط من آيات الأعراف أنها تقع بين الجنة والنار، أما ماهيتها فلا علمَ لأحدٍ بها.

من هم أصحاب الأعراف؟ في المسألة أقوال؛ ولم نعثر على نقل فيها سوى ما ورد في القرآن الكريم فاقتصر الأمر على العقل.

ويعرض القرآن الكريم ثلاثة مشاهد مختلفة تحدث فيها عن أصحاب الأعراف:

المشهد الأول: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٧/٤٤).

المشهد الثاني: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٧/٤٦-٤٨)؛ ثم بدا هذا المشهد في آخره

وكأنّه يتغير، وإذا بأصحاب الأعراف ينادون أصحاب الجنة قائلين: ﴿**أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ (سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٤٩/٧).

أمّا المشهد الثالث فهو كما ذكر القرآن الكريم: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ (سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٥٠/٧).

دلّت الآيات أن بين أصحاب الأعراف وأصحاب الجنة اتصالًا، وبينهم وبين أصحاب النار كذلك، فهم يعرفون كلا الطرفين عن كَثَب.

يروى أنّ مِن الصحابة مَن يرى أن الأعراف هي ذروة سَنام الصراط، وأصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، ويرى آخرون أنهم الأنبياء والشهداء والعلماء وذوو الأرواح العالية الملائكية، ينظرون من بعيد ويشاهدون ما يجري في كلا المنزلين، ويشاركون في الحوار المذكور بين أصحاب الجنة وأصحاب النار؛ لكن أهل التحقيق ردّوا هذه الآراء.

وفي بعض الإسرائيليات أن أصحاب الأعراف قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم، وفي بعضها أنهم ملائكة على صورة بشر؛ فإن أخذنا بالرواية الأخيرة فقوله ﴿**لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ**﴾ راجع إلى أهل الجنة؛ أي إن أصحاب الجنة لم يدخلوها بعد، وهم يعلمون أنهم أهلها.

ومنهم من يرى أن هؤلاء الذين يرون الجنة فيحدوهم الأمل، ويرون النار فيرتعدون خوفًا، هم من حُكِمَ عليهم بأن يقضوا أمدًا في معاناة وألم حتى يغدوا بحقّ أهلًا لدخول الجنّة.

أجل، أحيانًا يكون تجرعُ المعاناة والآلام في الدنيا تكفيرًا لذنوب قوم، وأحيانًا يكون عذاب القبر تكفيرًا وتطهيرًا لآخرين، ومن لم يتطهر

بهـذا ولا ذاك جـرى له تطهيرٌ مثله في الآخرة؛ ومن هؤلاء قوم سـيقضون مـدة علـى الأعراف ما بين رغبة في الجنة ورهبة من النار، وفي هذا الطرز مـن الحيـاة كفارة وتطهير لهـم من الذنوب، ثم يدخلـون الجنة بفضل الله ورحمته.

والله تعالـى يعلـم حقيقـة كل شـيء وماهيتـه، فـلا أحد يعلـم حقيقة الأعراف وأصحابها إلا هو سبحانه.

تربية جهنم

سؤال: هل لجهنم دور في إصلاح وتهذيب أهلها؟

الجواب: جهنم دار جزاء؛ يُجازَى فيها المرء على الأعمال الطالحة، فينال جزاءه على ما اقترف من ذنوب وآثام في الدنيا.

فإن لم يصبر المؤمن في الدنيا على ما كلفه به ربّه، وعجز عن كسب الهوية والقابلية لدخول الجنة تحقق له ذلك بصورة ما في جهنم؛ أما مَنْ ضيّع قابليته واستعداده كلية بسبب كفره في الدنيا فسيفقد الخاصية التي تؤهله لدخول الجنة؛ لأنه لا يمتلك أصلًا ولو ذرة واحدة من تلك الخاصية؛ فتخمُّر شيء متوقف على قابليته للتخمُّر، وإن انعدمت انعدم التخمر.

يقول سيدنا رسول الله ﷺ: "**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**"(٥٩)؛ لأنَّ فيه جوهرة ثمينة قيمة تؤهله لدخول الجنة.

إذًا من عجز عن أن يُتمّ سيره ورُقيَّه فأمامه سير آخر يبدأ من القبر، تغشاه فيه سلسلة من صنوف العذاب والآلام.

فمن الناس مَن ينقضي أمرهم في القبر، فمثلًا يقول بعض السلف لمن رآه في المنام: عُذّبنا ستة أشهر وانقضى الأمر. فإن صدقت تلك الرؤى فالمقصود حساب المقربين.

(٥٩) صحيح البخاري، التوحيد، ١٩؛ سنن الترمذي، البر، ٦١ (واللفظ للترمذي).

ومن الناس من ينجيه عذاب القبر من وطأة الحساب والميزان؛ ويمضي آخَرون فيما هم فيه حتى المحشر، فيحاسبون فيه أو لا؛ ثم يدخل بعضهم جهنم -نسأل الله السلامة- فيتدارك ما فاته في الدنيا، يفعل الله بهم ذلك ثم يخرجهم، فيدخلون الجنة، ويقال لهم "**الجهنَّميون**"(٦٠)؛ وبذلك يكونون قد حصلوا على ما كان يلزمهم الحصول عليه في الدنيا، فعادوا إلى فطرتهم الأصلية، فتطهروا من جديد وعادوا كما خُلقوا أول مرة؛ فأخرجهم الله من جهنم وأَدْخَلَهم الجنة.

(٦٠) صحيح البخاري، الرِّقاق، ٥١.

"لا إكراه في الدين"

سؤال: ما معنى هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سُورَةُ البَقَرَة: ٢/٢٥٦)؟

الجواب: جوهر الدين وروحه يردّان الإكراه؛ فالإكراه يناقض روح الدين، والإرادة والاختيار في الإسلام أساسٌ تقوم عليه معاملاته؛ فلا اعتبار أو قبول لأي عمل أو فعلٍ جرى بالإكراه سواء كان ذلك في العقائد أم العبادات أم المعاملات؛ فمثل هذا يخالف قاعدة "**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**"(٦١) ويناقض مقتضاها.

وكما لا يجوّز الإسلام الإكراه في معاملاته، لا يجوّز أيضًا إكراه الآخرين على الدخول في الإسلام؛ فلكل فرد مطلق الحرية، فالذميون مثلًا إذا دفعوا الجزية والخراج ضمن لهم الإسلام سلامة حياتهم؛ فأفق المسامحة في الإسلام واسعٌ ورحبٌ إلى هذا الحدّ.

والدين ليس نظامًا يمكن فرضه بالقوة والإكراه؛ فأهمُّ شيء فيه هو الإيمان، والإيمان أمر قلبي وجداني صرف، وليس هناك قوة لها تأثير على القلب والوجدان؛ فلا يمكن أن يُقبِل الإنسان على الإيمان إلا بميلٍ قلبيّ ودافعٍ وجدانيّ، إذًا لا وجود للإكراه في الدين بهذا المعنى.

لم يسعَ الدين منذ عهد أبينا آدم عليه السلام حتى اليوم لإكراه أحدٍ على الدخول فيه؛ فالإكراه هو ديدن جبهة الكفر التي حاولت إخراج الناس

(٦١) صحيح البخاري، بدء الوحي، ١؛ صحيح مسلم، الإمارة، ١٥٥.

مـن دينهـم بالقوة والإكراه، ولكن لم يقم أي مسـلم بإكـراه أيِّ كافر على الدخول في الإسلام؛ نعم، قد يُقال: في القرآن الكريم آيات كثيرة تحضّ على الجهاد، أليس هذا نوعًا من الإكراه؟

كلا، ليـس فـي هـذا أي إكراه؛ فالجهـاد ما شُـرع إلا لمجابهة الإكراه الواقـع مـن الجبهـة المعاديـة، إذًا لا أحـد يدخل في الإسـلام إلا بكامل حريَّتِهِ وإرادته؛ والجهاد الذي فرضَهُ الإسلامُ إنَّما شُرِع لحماية هذه الحرية وتيسير سبلها، وما تحققت هذه الحرية إلا بالجهاد.

ولتقويـم هـذه المسـألة مِنْ منظـور آخر نقـول: حكمُ بعـضِ الآيات مقصـورٌ علـى مراحل معينـة، وقد تأتي هذه المراحل بيـن عهود النهوض والكمـال وبين عهود الانحطـاط والتخلف، ولكن يبقـى الحكم مقصورًا علـى تلك المرحلـة؛ مثال ذلك سـورة "الكافرون": ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَـا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُـدُ مَـا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۞ وَلَا أَنْتُـمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ فحكم هذه الآيات مقصور على مرحلة وفترة معينة.

وهـذه المرحلـة هي مرحلة بيان المسـائل وابتكار الحلول، فسـيكون تقديم هذه المسائل بالنصح والإرشاد دون إكراه المخاطبين على قبولها؛ وهـذه المرحلـة تقتضي عدم الاشـتغال بضلالات الآخريـن وانحرافاتهم وتجنـب إثارتهـم، مـع الثبات علـى الاسـتقامة وتطبيق الدين فـي الحياة الشـخصيّة، فأحكام أمثال تلك المرحلـة لا تعمّ بمعناها الفتراتِ جميعَها، لكن من الخطأ القول بأن هذه الأحكام لا سبيل إلى تطبيقها لاحقًا في أي عهد من عهود الإسـلام، بل وُجدت مثل هذه المرحلة في العهود السـابقة كلها، ونحن اليوم نمرّ بها أيضًا.

وفي الآية حكم آخر عامّ في كلّ زمان وعهد، سارٍ على الدوام، وهو حكم الأقليات الدينية في الديار الإسلامية، فليس لأحد إكراههم على الدخول في الإسلام، بل يجب أن يكونوا أحرارًا في عقائدهم الدينية.

عندما نتأمل التاريخ يبدو جليًّا أنه عاش معنا وبيننا على الدوام زمرة من المسيحيين واليهود؛ واعترف الغرب أن اليهود والنصارى لم يكونوا في أمن وسلام وإنْ كانوا في بلادهم مثلَما عاشوا بيننا؛ رضوا بدفع الجزية، ودخلوا في ذمتنا، فوجبت حمايتهم، لكن لم يقم أحد بإكراههم على الدخول في الإسلام، وكانت لهم مدارسهم الخاصة حتى وقتٍ قريب، بل إنهم يمارسون شعائرهم الخاصَّة ويحافظون على طقوسهم وأعيادهم الدينية، ومن يدخل منّا إلى أحيائهم في بلد إسلامي وإن كان في أزهر عهودنا يحسب نفسه في أوروبا؛ أي بلغت حرياتهم من السعة كلّ هذا المبلغ، ولا قيد سوى منعهم من المكر بنا أو استجرار شبابنا ونسائنا إلى الانحراف؛ وكان هذا شرطًا وضرورة للمحافظة على سلامة مجتمعنا.

وإن وجود مثل هذه الأحكام للحيلولة دون الانحراف في الدين لا يعني وجود الإكراه فيه، فهي خاصة بمن دخلوا في الإسلام باختيارهم وإرادتهم، واعتنقوه ورضوا بهذه الأحكام؛ لذا إن ارتدّ أحدهم عن الإسلام مثلًا يُستتاب مدة للعودة إلى الإسلام، وإلا قُتل؛ وهذا عقاب على نقض عهد سبق عقده، وتقتضيه المحافظة على نظام المجتمع؛ فالدولة تدار بنظام معين، ولو اتخذت أهواء كل فرد أساسًا لخلت إدارة الدولة من النظام؛ لذا أهدر الإسلام حرمة المرتد وحياته حفاظًا على حقوق المسلمين جميعًا.

فمن يدخل في الإسلام يُكلَّف بفعل أمورٍ وتركِ أخرى، ولا علاقة لهذا بالإكراه؛ فمثلًا: لو ضحك المكلف في الصلاة قهقهة لانتقض وضوؤه

وفسدت صلاته عقوبةً له عند الأحناف، ولو لبس المُحرِمُ ملابس مخيطة أو قتل حشرة كانت على بدنه لزمته كفارة عقوبةً له؛ لكن لو ضحك خارج الصلاة، أو قتل حيوانًا في غير الإحرام فلا بأس ولا جزاء، وهكذا ما نحن فيه؛ فالإسلام وإن لم يُكره أحدًا على الدخول في الإسلام إلا أنه لم يطلق العنان لمن أسلم مختارًا ولم يكن ليترك له الحبل على غاربه، ففي الإسلام أوامر ونواهٍ، يجب على أتباعه الانقيادُ لها؛ فهو يأمرهم بالصلاة والصيام والزكاة والحج، وينهاهم عن الخمر والقمار والزنا والسرقة، ويعاقب مرتكب هذه المنهيات بعقوبات متنوعة تبعًا لنوع المحظور، وهذا لا يدخل في الإكراه ولا صلة له به.

ولو تدبّرنا قليلًا لعلمنا أن مثل هذه التدابير الرادعة تستهدف مصلحة الناس؛ فبهذه التدابير يحافظ الفرد والمجتمع على سعادته في دنياه وأخراه؛ فإن شئت فقل: هناك إكراه في الدين بهذا المعنى؛ فالرسول ﷺ يشير إلى هذا بقوله: "**عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ**"(٦٢).

(٦٢) صحيح البخاري، الجهاد، ١٤٤.

نظرية داروين

سؤال: ما السبب الكامن وراء إصرار بعض المحافل العلمية على نظرية داروين رغم ظهور بطلانها وانكشاف عَوَارها؟

الجواب: يستحيل العثور على نظرية بُعثت بعد موتها مرات سوى نظرية داروين، ماتت ثم بُعثت، ثم ماتت ثم بعثت... والآن دخلت في الغيبوبة ويحاول أناس إسعافها! وبينما يستميت بعض رجال العلم في الدفاع عن أفكار داروين انبرى آخرون منهم بسهام نقد قاتلة لنظرية داروين فمزَّقوها كلَّ مُمزَّق وقالوا: الإيمان بهذه النظرية بعدما ظهر فسادها خداعٌ ليس إلا، هذا هو المشهد القائم في المحافل العلمية العالمية، ولكن يبدو أن النظرية ستبقى مدة تشغل الأوساط العلمية، وبين الأمس واليوم كُتبت فيها آلاف الكتب في الشرق والغرب، وما يزالون يكتبون وسيكتبون.

وليُعلم أن الثقافة شرقًا وغربًا أقيمت اليومَ على أسس مادية وعلى مبادئ الفلسفة المادية، فالمادية في أمريكا وروسيا سواء، وقد خيّمت على جُلّ الثقافة الغربية اليوم أجواء الثقافة الأمريكية، ومرادنا بـ"الشرق" الخريطةُ الجغرافية لا الفكرية، فكلمتا "الشرق والغرب" تجاوزتا اليوم الحدود الجغرافية، فنحن نرى روسيا جزءًا من الغرب.

ورؤية الفريقين للدين والعلم واحدة، فالغرب ينظر إلى الدين بنظرة "روسو (*Russo*)" و"رينان (*Renan*)"، وهي أن الدين وحدة صغيرة ضرورية للحياة الاجتماعية، أي إن الدين لم يكن عندهم غايةً وهدفًا بتاتًا، بل هو واحد من عدة وسائل أخرى لسعادة بعض الناس، فينبغي أن يفسح له الطريق، وهذا ما وصلت إليه روسيا اليوم؛ وهذه النظرة يمكن عدّها بدايةً اللينَ والمرونة لكنها ليست المفهوم الصحيح للدين كما نفهم.

ونظـرةُ هـؤلاء إلى العلم بشـعبه وفروعـه كلها واحدةٌ، هـذا ما عليه العالـم اليوم؛ ورغم كل هذا ثمَّة كثيرون حتى من العلماء المادّيين نقدوا نظريـة داروين وفندوها وطعنوها عضوًا عضوًا، فلم يَسـلم منها شـيء؛ وهـذا الأمـر نراه جليًّا علنًا فـي أوروبّا وأمريكا، أمّا في روسـيا فما يزال يجري بصمتٍ وخفاء.

أجل، لا تزال روسيا تصرّ هي وحلفاؤها على هذه النظرة؛ لأنها أرست قواعدها الفاسدة على المادية التاريخية، لذا كان من المهم جدًّا عندها أن تكون نظرية داروين صحيحة؛ والحقيقة أنه ما إن تتهاوى الفلسـفة المادية والماديـة التاريخيـة حتى تتصـدر الميتافيزيقية المشـهد، وعندئذ سـيُعنَى النـاس بتقييم القيم الروحية والمعنوية أكثر من القيم الاقتصادية والمادية، ومعنـى هذا أُفول نظامهـم الفكري؛ لذا يقومون بدفـع نظرية داروين إلى المسرح من حين إلى آخر، وسيستمر هذا إلى أمد.

أما في تركيا فما يرفـع لواء هذه النظرية ويسعى لخدمة هذا الفكر سوى نفر من هيئة التدريس بالجامعة وفئة من المعلمين؛ يقدّمون هذه النظرية في مادة "علم الأحياء" وكأنها هي الحقيقة عينها، فيفسدون العقول الغضَّة.

ولن أعمد هنا إلى تحليل المسـألة تحليلًا علميًّا مفصلًا، فقد تناولتُها بالتفصيـل في إحـدى المحاضرات[٦٣]، ثم تناولها بعـض الإخوة عقائديًّا، وتبلـورت جهودهم في كتب ومجلدات مفيدة، فأحيل إليها للاسـتفصال، لأقتصر على جواب السؤال.

يقـول أنصار هـذه النظرية: تكونت الأحماض الأمينية أولًا في المياه، ثـم غـدت المُتَمَوِّرة "الأميبا" أو وحيد الخلية كائنات حيّة، طالَتْها عمليات

(٦٣) ألقى المؤلف محاضرته "حقيقة نظرية التطور" في السبعينات، ثم أُدرجت أبحاثها في كتاب تُرجم بعد ذلك إلى اللغة العربية بعنوان "حقيقة الخلق ونظرية التطور" صدر من دار النيل.

التطـور، حتـى صارت في مرحلة متطورة أحياءً إما قرودًا أو كلابًا كما قال بـكلٍّ قائـلٌ، ثم ظهر الإنسـان في آخر مرحلة من التطـور؛ وعرَضوا بعض الحفريـات عثروا عليها في بعض الأماكن دليلًا على صحة هذه الفرضية، بل عدُّوها منشـأً وأصلًا وسـلفًا لأجناس وأنواع كثيـرة من الأحياء؛ فمثلًا جعلـوا بعضها أصلًا للحصان، وبعضها لقناديل البحر وأخرى للطحالب، وقالـوا: الصـورة الحاليـة لهـذه الأحيـاء إنمـا تشـكلت بعد مـرور آلاف السنوات عليها.

ولكن اكتشـافات العلماء الأخيرة تدحض هذا الزعم، فثمة حشـرات وصفها أنصار النظرية بالمخلوقات العنيدة حافظت وما زالت على أحوالها وأشكالها القديمة منذ ظهورها قبل ٣٥٠ مليون سنة حتى الآن.

وكـذا المفصليـات والزواحف وعقـارب البحر لا تـزال تحافظ على أشكالها وأحوالها التي كانت عليها قبل ٥٠٠ مليون سنة، أي أشكالُها هي عين أشكال متحجراتها بلا أدنى فرق، هذا ما قاله علماء الحيوان أنفسهم؛ فـإذا كانـت الأحياء الدنيا لم يعترها أي تغيـر أو تطور، فكذا قَدَم الحصان خلافًا لما يدعيه الداروينيون، وكذا الإنسان فهو ما يزال على شكله الأول منـذ أن خُلـق؛ وبينما يدعي التطوريـون أن الأحياء اعتراهـا جميعًا التغيّر والتطور، تظهر أمامنا أحياء تعيش منذ ٥٠٠ مليون سنة، لتكذّب ادعاءهم، وتقول: "كلا... نحن ما تغيَّرنا ولا تبدّلنا ولا تطوّرنا".

ويزعمـون أن تطـور الأحياء وتبدلهـا محض صدفة، ويتـم ببطء عبر الزمن، وتطوُّرُ وتبدُّل كلِّ كائن مرتبطٌ بالظروف والشروط التي يوجد فيها، فثمة عوامل لها تأثير إيجابي أو سلبي على الطفرات الإحيائية، مثل علاقة الأرض بالشـمس وبُعدهـا أو قربهـا منها، وكيفيـة دوران الأرض حولها، والتغيـرات الناتجـة عن هذا الـدوران كاختلاف الفصـول؛ فالتغيرات إنما

تتحقق تبعًا لهذه الشروط؛ مثال ذلك أن الحصان قبل ملايين السنين كان حيوانًا صغيرًا له خمسة أظافر في القَدم، فلما أتت عليه هذه السنون كبر وبقي بظفرٍ واحدٍ.

والحقُّ أنَّه ليس لهم على دعواهم برهانٌ يُعتَدّ به، يتكلمون عن مخلوق عاش قديمًا ادعوا أنه كان حصانًا، ولا صلةَ له بالحصان الذي نعرفه؛ لقد خلق الله تعالى حيوانًا في ذلك العهد، ثم انقطع نسله بعد حين، ولا شيء يشبهه الآن، فكيف يُدَّعى أن ذلك الحيوان هو الحصان؟ لقد خلقه الله تعالى في عصرٍ ما، ثم خلق الحصان بعده بعصور، فما وجه الجمع بين هذين الحيوانين ونسبة أحدهما إلى الآخر؟

عُثر على نحل وعسل لما قبل ملايين السنين، وتبيّن أنَّ النحل منذ مئة مليون سنة كانت تجرس العسلَ في أشكال هندسية كما تفعل اليوم، فرغم مرور مائة مليون عام لم يتغير شيء، فالنحلة ما تزال تجرس العسل كما كانت تفعل وفي نفس الأشكال الهندسية، أي لم تتغير طوال هذا الزمن فطرة النحل وطريقة جرسه العسلَ، ولا أي شيء في بنية النحل وأعضائه، فلو كان هناك أيّ تطوّر فأين حدث وكيف؟! على أنصار نظرية التطور أن يبينوا لنا هذا.

قبل بضع سنوات أعلن أحد أنصار الداروينية الحديثة للعالم أنه اكتشف جمجمة فيها صفات بشرية وأخرى قردية، وقدَّم هذه الجمجمة دليلًا على تطور القرد إلى إنسان، وما طال الأمر حتى كُشف القناع، وتبين أنّ الفك الأسفل رُكّب من جمجمة قرد وجمجمة إنسان حقيقي، أي رُكِّبت جمجمة واحدة من جمجمتين، ثم وضعت هذه الجمجمة أمدًا معلومًا في الحمض لتوهم أنها جمجمة قديمة، ثم زُرعت أسنان إنسان في الفك الأسفل وبُرِدت، ثم قُدِّمت هذه الجمجمة دليلًا على وجود الحلقة

الوسطى بين القرد والإنسان، وكادت عملية التزوير هذه تخدع الأوساط العلمية[٦٤]؛ ولكن بعض العلماء تنبهوا لها واكتشفوا زيفها وكذبها، ونشروا ذلك في الصحف والمجلات، وبحثت الصحف الموضوع، ونشرت فيه مقالات كثيرة.

أما نظرية الطفرة الإحيائية فتقضي بأن تعتري التغيراتُ نسلَ الأحياء إن تعرضت الأحياء لطفرات إحيائية، وهذه التغيرات أساس ظهور أنواع الأحياء كلها.

وأثبت تقدُّمُ علمَيِ الجينات والكيمياء الحيوية أن الطفرات الناتجة عن المصادفات العشوائية يستحيل أن تؤدي إلى تحسن الأحياء وتطورها وبلوغها الكمال، فالطريق مسدود إذًا أمام هذا الادعاء.

ومنذ سنوات تُجرَى محاولات وتجارب كثيرة لتهجين الحمام والكلاب، لكن بلا جدوى؛ صحيح أنه حدثت بعض التغيّرات الجسدية كتغير شكل الأنف أو الفم، لكن بقيت الكلاب كلابًا وما استحالت حميرًا مثلًا، وبقي الحمام حمامًا وما استحال طائرًا آخر؛ وسبق أن أُجريت تجارب كثيرة على ذباب الفاكهة "دروسافيلا" ولكن بقي هذا الذباب ذبابًا، وعاد أرباب هذه التجارب بِخُفَّيْ حُنَيْن؛ فتركوها خائبين وركبهم اليأس.

وقد أثمرت هذه التجارب؛ إذ أدرك العلماء حقًّا أنه يستحيل الانتقال من نوع إلى آخر في عالم الأحياء، لوجود هوّات واسعة بين الأنواع يستحيل تجاوزها؛ وبات معلومًا لهم جميعًا أن الحلقات الوسطى تظلّ عقيمة؛ فالبغل مثلًا يستحيل تكاثره واستمرار نسله؛ فكيف بالإنسان

(٦٤) هذه الجمجمة المزيفة التي أطلقوا عليها اسم (إنسان بيلتداون) خدعت العلماء أربعين عامًا تقريبًا، وكُتب حولها نحو نصف مليون مقالة في مختلف المجلات العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية والبلدان الأوروبية حتى اكتشف زيفها عام ١٩٥٢م في بريطانيا. (المترجم)

إذًا وهو كائنٌ متميز كُتب لنسله الاستمرار إلى يوم القيامة، فكيف يتيسر ظهور كائن مثله من خلال الطفرات الإحيائية ولا يتيسر هذا لما دونه من المخلوقات؟ ووقوع هذا الأمر ليس له برهان حقيقي، فهو ليس مستحيلًا عقلًا فحسب بل يستحيل تخيله.

وعُثر قرب جزيرة مدغشقر على أحفورةِ سمَكة، ولما أجروا البحوث عليها تبين أنها تعود إلى ستين مليون سنة سَلَفَتْ، فلم يتريثوا بل قرروا أنها من الأسماك المنقرضة، وسرعان ما جاءهم صياد من الجزيرة نفسها بسمكة من هذا الصنف الذي زعموا أنه انقرض، وعاد أنصار التطور مرّة أخرى بخفي حنين لما أيقنوا أن هذه السمكة تشبه مائة بالمائة دون أي تبدل أو تغير تلك السمكةَ التي عاشت قبل ستين مليون سنة؛ وهكذا أفسدت السمكة الحية سيناريو السمكة المتحجرة الذي أعدَّه التطوريون، فسقطوا في البئر الذي حفروه بأيديهم.

ورغم هذا كلّه نرى الماديين يناصرون النظرية التطورية مناصرة عمياء ولا يتخلَّون عنها أبدًا وإن تناقضت مع العلم، لأنّ التطور أحد القواعد الرئيسة للمادية التاريخية وسندُها وركنٌ من أركانها، ولأن ماركس وإنجلز تَبنَّيا هذه النظرية.

يرى هؤلاء أن حل أي قضية أو تفسيرها لا يكون إلا بالنظرة الماديّة، ويَأبَون أن يقولوا: "لم نستطع تفسير هذه المسألة، إذًا فلا بد من وجود قوة معنوية"، وإنما يبذلون من الجهود ما يبذلون من أجل التنصّل من اعتراف كهذا، وهذه الجهود والمحاولات اليائسة أبعدتهم كثيرًا عن العقل والمنطق والاعتدال في السلوك والبحث، بل أرغمتهم على كثير من التزوير والخداع وألاعيب المنطق التي لا تليق بالعاميّ فكيف برجل العلم؛ وهذا ما جعلهم في كل مرة تَحمَرُّ وجوهُهم خجلًا.

ولكـن وا أسـفاه كم عقـل غضّ تأثر بهـم فزاغ وانحـرف، لكن حبل الكـذب قصيـر، وحبل هـؤلاء أقصر، وكما يقال: قد يلقـي أحد المجانين شـيئًا في بئر، فيشـغل أربعين عاقلًا يحاولون اسـتخراجه فلا يسـتطيعون، وهذا ما حدث في هذه المسألة.

لقـد أفـاد داروين دنيا العلم مـن حيث لا يـدري، فتصنيـف الأنواع وترتيبهـا نتـاجُ بحوثـه، وكان هـذا التصنيف أحد الأدلة علـى مدى النظام والانسـجام المذهل في الكون؛ فتبارك الله الذي خلق هذا الكون في نظام بديـع محفوظًا من العبث.

سـبحانك ربنا تهدي من تشـاء، فنحن قد زادتنا بحوث داروين إيمانًا، أما هو فأضلَّته.

مصادر

ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)؛ **مصنف ابن أبي شيبة**؛ تحقيق: كمال يوسف الحوت؛ مكتبة الرشد، الرياض، ١-٧، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)؛ **صحيح ابن حبان**؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ مؤسسة الرسالة، ١-١٨، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)؛ **سنن أبي داود**؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد؛ المكتبة العصرية، صيدا-بيروت؛ ١-٤.

أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني؛ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**؛ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م؛ [المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون]، ١-٤٥.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م)؛ **الجامع الصحيح**؛ تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر؛ دار طوق النجاة، ١-٩، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)؛ **دلائل النبوة**؛ تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي؛ دار الكتب العملية-دار الريان للتراث، ١-٧، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ـــــــ، **شعب الإيمان**؛ تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد؛ مكتبة الرشد، الرياض، ١-١٤، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣م.

جيمس هنري برستد "*James Henry Breasted*"، **تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي** [ترجمة كتاب "*A history of Egypt, from the earliest times to the Persian conquest*"]؛ ترجمة: د. حسن كمال؛ مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٦ه/١٩٩٦م.

الدواني ، أبو عبد الله جلال الدين محمد بن أسعد بن محمد (ت: ٩٠٨ه/١٥٠٢م)؛ **الزوراء**؛ مخطوط (كتبت سنة ١٣٠٩ه)؛ مكتبة جامعة ملك سعود، رقم: ٣٤٥٣.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله (ت: ٢٠٧هـ)؛ **فتوح الشام**؛ دار الكتب العلمية، ١-٢، الطبعة الأولى، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)؛ **المستدرك على الصحيحين**؛ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١-٤، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت: ٣٦٠هـ)؛ **المعجم الكبير**؛ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي؛ مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١-٢٥، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت: ٢٠٤هـ)؛ **مسند أبي داود الطيالسي**؛ تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي؛ دار هجر ، مصر، ١-٤، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)؛ **صحيح مسلم**؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١-٥.

مصطفى محمود، (ت: ٢٠٠٩م)؛ **حوار مع صديقي الملحد**؛ دار المعارف، ١٩٨٦م.

مولانا جلال الدين الرومي، محمد بن محمد بن حسين (ت: ٦٧٢ه/١٢٧٣م)؛ **مثنوي**؛ ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا؛ ١-٤، ١٤١٦ه/١٩٩٦م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ)؛ **السنن الكبرى**؛ تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي؛ مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١-١٠، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)؛ **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**؛ تحقيق: محمد عثمان الخشت؛ دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

سعيد النُّورْسي، بديع الزمان (ت: ١٩٦٠م)؛ من كليات رسائل النور: **الكلمات**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

ـــــــ، من كليات رسائل النور: **اللمعات**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

ـــــــ، من كليات رسائل النور: **المثنوي العربي النوري**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ)؛ **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**؛ تحقيق: عمر عبد السلام السلامي؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١-٧، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت: ١١٦٢هـ)؛ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**؛ المكتبة القدسي، ١-٢، ١٣٥١هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت: ٢٧٩هـ)؛ **سنن الترمذي**؛ تحقيق: أحمد محمد شاكر؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١-٥.